

✓
Vol. 3, No. 1, 2015

٤٨
٥٣
مجلة النور

مجلة اللغة العربية والدراسات الإسلامية

تصدر عن
قسم الدراسات العربية
جامعة ولاية يوبي - دماطرو



ANNUR

JOURNAL OF ARABIC AND ISLAMIC STUDIES

Published by:

THE DEPARTMENT OF ARABIC STUDIES
YOBE STATE UNIVERSITY - DAMATURU

Part One الجزء الأول

النور:

مجلة اللغة العربية والدراسات الإسلامية

المجلد الثالث – العدد الأول ٢٠١٥ م
(الجزء الأول)

Annur:

Journal of Arabic & Islamic Studies



Volume 3, Number I (2015)
(Part One)

© Annur

Department of Arabic Studies

Yobe State University

Damaturu – Nigeria

ISSN: 2488-9407

الطابع المغربي في بعض المخطوطات العربية النيجيرية

الدكتور/ عبدالرشيد محمود مقدّم

قسم اللغة العربية جامعة إلورن

08032096799

abdurrasheedmahmoudmukadam@yahoo.com

(أ) توطئة

تعدّ نيجيريا من معاقل المخطوطات العربية في غرب أفريقيا؛ ذلك لما تكتنّز به خزائنها الفردية والحكومية من مخطوطات قيمة ذات مغزى علمية هادفة، وصلة معرفية قوية، تروّج بتشديد الصرح العربي والتقدّم الحضاري؛ وهي «مجموعها» تتمثل في التراث العربي الذي صاغته عصارة أفكار العلماء النيجيريين منذ زمن بعيد من المخطوطات العربية التي تتسم بطابع مغربي في شكل رسمها وأسلوب كتابتها؛ وهذا الطابع يعدّ من جملة الظواهر التي تعبر بصدق وتؤيد وثائق تاريخية، تنصّ عن مدى تأثيرات العلماء المغاربة في العلماء النيجيريين، كما تؤكد ما بينهم من العلاقات العلمية الوثيقة. وستقوم هذه الورقة في حينها بتفصيل ذلك عبر نقاطها المخططة حسب ما يترأى للقارئ في السطور التالية:-

- علاقة المغرب الأقصى مع نيجيريا.
- وضع المخطوطات العربية في خزائنها النيجيرية.
- ملامح الخطّ المغربي في المخطوطات العربية النيجيرية.
- الخاتمة.

(ب) علاقة المغرب الأقصى مع نيجيريا

ومن المثبت في التاريخ وجود علاقة علمية هادفة وصلة روحية صافية بين نيجيريا والمغرب الأقصى، وكانت تفجيرات هذه العلاقة نابعة من تبادلات تجارية كانت من السلع المتباينة التي كانت تستعرض من المغرب الأقصى وتعبّر السودان وتباع فيما يسمّى اليوم بنيجيريا مثل برنو وكنو وغيرها من المدن التي تعدّ مراكز تجارية وأماكن ثقافية تقام فيها-آنذاك-أسواق مشهورة يؤمّها كثير من التجار من شتى البلاد المغربية⁽¹⁾ وعلى ألسنة هؤلاء التجار المغاربة عرف أهل نيجيريا -في أول عهدهم- اللغة العربية، التي كانت هي لغة تستخدم للتسويق، ويرجع ذلك في القرن الحادي عشر إلى الرابع عشر الميلاديّ حين لم تعرف وطأة الاستعمار الانجليزي طريقها إلى نيجيريا.

ومن هؤلاء التجار المغاربة وغيرهم تلقى أهلها - في أول وهلة - القرآن الكريم لتأدية فرائض صلواتهم اليومية، وتعتبر هذه اللغة العربية أولى اللغات الأجنبية التي تسربت إلى ألسنة أهل نيجيريا كانت ولا تزال تلكها حيناً لآخر خصوصاً فيما يمس العبادة مثل: الصلاة، الزكاة، الصيام، الدعاء، الحج، وأسماء الأيام: السبت، الأحد، الاثنين، الثلاثاء، الأربعاء، الخميس، الجمعة؛ غير أن بعضها تدخلت عليه تحريفات، وتستعمل حروف هذه اللغة العربية في كتابة لغاتهم المحلية (العجمي) في جميع احتياجاتهم الإنسانية من بيان ما أنبههم عليهم من من الكتب العربية، وتدوّن بها أشعارهم الوبائية، وأدويتهم الشعبية، والعقود المالية قبل أن شدّ الاستعمار وطأة الإنكليزية الرهيبة على العربية، سرت سيوها الجارفة في جميع المعمورة، وبالغ الواقع أهد ما تحكم انحاز موازين القوة إليه، وخطط برامج رهيبة، تفرز قوى مُعادية لإثارة القلاقل، وكان عهده من حينه ١٩٠٣م إلى منتهاه ١٩٦٠م، عوادي صاخبة تبث في كل نواح سموما تزوي كل نشاط حيوي، وتشرع في هولا وركودا، وإلى على نفسه ألا يذر للسان العربي قائمة أتى عليها إلا جعلها كالرميم^(٢)، فحاول ينزع العربية عن لسان أهلها ونزع كذلك الكتابة بالحروف العربية عن أيديهم مستبدلاً بالإنكليزية؛ ولكن مع ذلك بقيت على فئات العملات المحلية حيث يوجد ما كتب عليه باللغة الهوساوية بالحروف العربية (كنيز ضيا) الذي يعني نيرا واحداً، و(نيز غؤما) بمعنى عشر نيرات، و(نيز غشرين) بمعنى عشرين نيرا، ثم أزيلت هذه الكتابة العربية فيما بعد^(٣).

ومما يؤيد وجود هذه العلاقة بين الدولتين (المغرب الأقصى ونيجيريا) ما يثبته لنا بعض ظواهر الكتابات النيجيرية التي تعدّ من تأثيرات إيجابية وبصمات علمية واضحة تركها المغرب الأقصى في مجال التعليم العربي النيجيري كتأثيره في الكتابة؛ حيث كان الخط المغربي يعدّ أول خطوط تعرّف عليها الكتابة العربية في نيجيريا، وهو الخط الوحيد الذي استعمل في قديم الزمان لتدوين التراث العلمي العربي في شتى المخطوطات العربية قبل التعرف على غيره من الخطوط العربية بتأسيس المدارس النظامية.

(ج) معاقل المخطوطات العربية في نيجيريا وأوضاعها

تشكّل المخطوطات العربية أهمّ التراث العربي الذي تركه الآباء والأجداد لمنفعة الأبناء والأحفاد من طلبة العلم؛ إذ هي تعدّ جسر التواصل الذي يربط بين الماضي والحاضر برابط علمي معرّف ثقافي يتغذى - بمضامينها - عقول الأجيال المتعاقبة إذا أوليت ما تستحقه من العناية والرعاية، وصيّنت من كل ما يشينها وتلفها؛ وتنوّع معاقل المخطوطات العربية في نيجيريا إلى ثلاثة أنواع وهي تندرج في المراكز التي تتعامل معها والأماكن التي تُدخّر فيها من مخازن فردية أوجمعية أو حكومية.

● المراكز الفردية

هي عبارة عن دور العلماء وحفائب أبنائهم وتلاميذهم أو حوزات الوراقين الذين كانوا يتكسبون بالكتابة وتوجد في صناديقهم كمية من المخطوطات العربية القديمة التي كتبها الأباء والأجداد مما حادت به قرائتهم من المعلومات العلمية والوثائق التاريخية والرسائل الإخوانية المتبادلة وما نسخ من التراث العربي بخطهم الخاص لندرة الكتب والمطابع، ويعدّ من سجل الأدوية والعقائير الشعبية،⁽⁴⁾.

وتحتضن دور العلماء السالفة الذكر المخطوطات المختلفة التي تعتبر تراثاً قيماً يعرّ بأصدق لسان عن ماضي أجدادنا، وتعدّ جسر التواصل بين الماضي والحاضر والمستقبل؛ غير أنّها تعاني في معظم هذه مراكزها الأوضاع البشعة الناجمة عن عدم اهتمام أصحابها، فأصبحت عرضة للغبار، وملعباً للقران والديدان وغيرها مما يشوّها ويسبّب فيها تلفاً وفساداً إضافة إلى كونها حبيسة الصناديق والرفوف - كما أسلفنا - يترك بها الأجيال مغلّعين عليها صفة القداسة وعدم الاقتراب منها إلا بطقوس معينة، فتتفصل الأرض بمضمها وتسرح وتمرح في بطون هذه المخطوطات فرحاً مرحاً⁽⁵⁾، وهم كارهون أن يخلوا عن سبيلها لليد العاملة بالصيانة والرفع من شأنها بالتشّير والتّحقيق.

● مراكز المؤسسات أو الجمعيات

ومن الندرة بمكان أن نجد - حسب علمنا - في أوساط هذا المجتمع النيجريّ تشكيل لجنة أو جمعية تقوم بمهام جمع المخطوطات العربية وحفظها؛ غير عدد لفي⁽⁶⁾ من أبناء مدينة إلورن الذين تشجّدت همهم بجمع مخطوطاتها وغيرها من الآثار الإلورية لحفظها وحمايتها.

ولقد قامت هذه اللجنة بمكتب الآثار الإلورية على ساقها بالسعي الدؤوب في اقتفاء مخايي المخطوطات بإمارة إلورن بالبحث والتنقيب وجمعها في حبيّة خاصة تحت حوزتها، كما قاموا بحملات لتوعية الناس وحثهم على استخراج مخطوطاتهم من المخايي، وهي تستخدم سياسات شتى لطمأنتهم، ويفيدونهم علماً بأن الهدف من جمع هذه المخطوطات هو صيانتها وحفظها من السرقة والنهب التي كانوا يخافون منها من قبل وهي تبقى رهن إشارتهم عند ما يريدون الاستفادة منها في البحث أو المطالعة⁽⁷⁾. وهي بهذه الحركة المباركة تماثل أخواتها في جمهورية مالي بغرب أفريقيا أو في مدينة تمبوكتو - على وجه التخصيص - التي توجد بها جمعية أنشئت عام ١٩٩٦م لحماية وتقويم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي؛ وهي جمعية ترمز إليها

بـ: SAVAMA- DCI

ونأمل أن تحقق هذه الجمعية بالورن وغيرها أهداف مسيرتها كما حققت مثيلاتها المشار إليها بمالي وتمكنو حتى أحصيت ما تم جمعها من مخطوطات تمكنتو-وحدها- أنها بلغت مائة وواحد ألف وثمانمائة وعشرين (١٠١٨٢٠) مخطوطة⁽⁸⁾ وألا يكون هذا آخر الغاية المنشودة من هذا الجمع بل أن تنشر وتحقق للاستفادة العامة.

• المراكز الحكومية

وفي هذه المراكز كمية هائلة من مخطوطات عربية تتمثل في حضارة هذه الأمة، وهي تعدّ عصارة أفكار علماءنا القدامى النجيريّين في مختلف فنون العلوم والمعارف منها القرآن الكريم وتفسيره، وعلوم القرآن، والأحاديث النبوية، والفقه وأصوله، والتوحيد، والتصوف، والفلسفة، وعلم النفس، وعلم الأحياء، وعلم الهيئة، والمنطق، والبيان، والنحو، والطب، وعلم الاسطرلاب، والكيمياء، والفيزياء، وعلم الطقس، وعلم النباتات، والموسيقى، وطرق التدريس، والتراجم، وتسوية الخلافات، والفتاوى في جميع المسائل، والرسائل الإدارية والعلمية والسياسية والشخصية والتجارية، ورسائل أخرى في العلاقات بين القبائل والشعوب والمدن والدول وغيرها من الموضوعات.

وفي السطور التالية نتناول الحديث عن هذه المراكز الحكومية منها مكتبة المتحف الوطني بجوس، ودار الوثائق القومية بكادونا، ومكتب الآثار بصكتو، ومركز تقييد المخطوطات بمعهد الدراسات بجامعة إبادن.

• ملامح الخطّ المغربيّ في المخطوطات العربية النجيرية.

يبرز الخطّ العربي في طليعة الفنون الجميلة الراقية، التي تزدهى بها الحضارة العربية، والثقافة الإسلامية بوجه خاص، وتتجلى نماذجه الفنية الرائعة في المساجد والمنشآت العربية والإسلامية، تطالعا فيها آيات قرآنية، وأعلام إسلامية، أخرجت في قوالب رائعة من الخطّ الأنيق الجميل، فأضفى عليها من الرونق والبهاء ما زاد تأثيرها الوجداني، وقُدّاستها الروحية⁽⁹⁾.

وبعدّ الخطّ سفيراً صادقاً أميناً ينوب عن اللسان في التعبير عما يخالج أعماق الصدور، وله اتّصال وثيق بالتعبير الكتابي، وحين اجتاز العقل البشريّ وسيلة التفاهم الطبيعيّ عن طريق اللسان تعبيرا والأذن استقبالا إلى وسيلة التفاهم الصناعي عن طريق الكتابة والقراءة، كان الخطّ وحده هو الوسيلة العملية الناطقة في التعبير الكتابي، وإذا استوفى حظاً محموداً من الوضوح والتنسيق والجمال، ساعد على حسن أداء المعاني،

وسهولة فهمها، وصدق دلالاتها؛ مثله في ذلك مثل التعبير الجيد، الذي يمتاز بوضوح الفكرة، وصحة العبارة، وجمال الأسلوب⁽¹⁰⁾.

أما إذا كان الخط رديفاً أو مشوهاً، فإنه لا يُبين عن مقاصد الكاتب، بل قد يطمس معالمها، ويعكس مدلولاتها، وذلك كالتعبيرات الملتوية، والأساليب الركيكة، التي قد تضلل القارئ أو السامع، وتناهى بهما عن الفهم الدقيق المطلوب⁽¹¹⁾؛ ولهذا مثل الخطاط الذي لا يراعي قواعد الإملاء في خطه كالخطيب الذي يلقي خطبته أو الشاعر الذي يلقي شعره أو الكاتب الذي ينشئ مقالته أو رسالته بدون المبالاة بقوانين الصرف والإعراب⁽¹²⁾.

وتتميّز الكتابة العربية كغيرها من الكتابات في اللغات الأخرى بخطوط متباينة يتسم كل منها على حدة بأساليب وخصائص معينة؛ من بين هذه الخطوط الخط النسخي، والخط الثلثي، والخط الكوفي، والخط الديواني، وخط الرقعة، والخط المغربي؛ غير أن الأخير هو الذي يعتبر أقدم خطوط عرفته الكتابات العربية في هذه المنطقة (نيجيريا) قبل غيره من الخطوط العربية التي تسربت إليها عبر تأسيس المدارس النظامية كما كشف عن ذلك أحد الباحثين بقوله "يستخدم النيجيريون الرسم المغربي في كتاباتهم، سواء في كتاب اللغة العربية، أو رسم اللغات المحلية التي تكتب بالحروف العربية. وظلّ النيجيريون يستخدمون هذا الخط وحده إلى عصر قريب، ثم دخل الخط الحديث لما أنشئت مدرسة العلوم العربية "بكنو"، ووفد إليها مدرّسون من جمهورية السودان. ثم جعل هذا الرسم يتسرّب إلى بقية المدارس، حتى أصبح الآن هو المستعمل في جلّ المدارس القرآنية، والحلقات العلمية، لاتزال تستخدم الرسم المغربي ولا تزال المصاحف تكتب بهذه الطريقة"⁽¹³⁾.

وقد قسم الباحثون هذه الخطوط إلى قسمين: الخط اليابس، والخط اللين. فاليابس : هو الخط الكوفي الذي اقتبسه الكوفيون من الخطوط القديمة المستخدمة من العصر الجاهلي إلى العصر الأموي . وأما اللين : فيشمل أنواعاً من الخطوط أبرزها⁽¹⁴⁾:

- **الخط النسخي** : وسمي بالنسخ لأن الكتاب ينسخون به المؤلفات ، ونشأ هذا الخط بالشام
- **الخط الثلثي** : هو ما يعبر عنه بأم الخطوط ، وهو من الخطوط الصعبة وبإتقانه يعتبر الخطاط خطاطاً ويقام له الوزن والتقدير، وسمي بذلك؛ لأن قلم الطومار وهو أجلّ الأقلام مساحة؛ عرضه أربع وعشرون شعرة. وقلم الثلث منه بمقدار ثلثه وهو ثمان شعرات، ويستعمل لكتابة أسماء الكتب المؤلفة، وأوائل سور القرآن الكريم، والحرف فيه يميل إلى التقوير والاستدارة .

- **الخطّ الفارسيّ:** وهو الخطّ الذي اشتاقته الفرس بعد فتح العرب لبلاد فارس.
- **الخطّ الديوانيّ:** وهو ذلك الخطّ الذي يختصّ بالكتابات الرسمية في ديوان الدولة العثمانية .
- **خطّ الرقعة:** وقد نشأ هذا الخطّ في عهد السلطان محمد الفاتح، وهو خليط يجمع بين حروف خطّ النسخ والديوانيّ الدقيق القدم، وربما كانت تسميته بالرقعة نسبة إلى قلم الرقعة الذي كان يكتب به هذا النوع من الخطوط .
- **الخطّ المغربيّ :** وهو الذي يعدّ سليل الخطّ الكوفيّ الدينيّ اليابس المنقّط، ظهر في مبدأ أمره بالقيروان في أواخر العصر الأمويّ ثم انتشر في أرجاء شمال أفريقيا والأندلس وغرب أفريقيا⁽¹⁵⁾. إلا أنه تحسّن على أيدي العلماء المغاربة والأندلس، وتأثّر بهم النيجيريّون فأخذوا يستخدمونه -كما مرّ- في كتابة لهجائهم المحليّة بالحروف العربية⁽¹⁶⁾؛ وهذا التأثير لم يكن مقصوراً على هذه الكتابة فحسب، بل تعدّاها إلى المنهج المتبع في مدارس القرآن من منهج أهل المغرب العربي حسب ما وصفه ابن خلدون بقوله : " أما أهل المغرب فمذهبهم الاختصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم -أثناء المدارس- بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث وفقه وشعر، ولا من كلام العرب، إلا أن يجاوروا البلوغ إلى الشبيبة⁽¹⁷⁾" ويظهر من هذا مدى تأثّر العلماء النيجيريّين بالمغاربة في أسلوب الرسم والمنهج الدراسي .
- إلا أن بين تلك الخطوط تفاوتاً في الذبوع حسب تقنّ الخطّاطين في كل قطر من الأقطار التي فتحها المسلمون؛ اكتسب الخطّ النسخيّ والثلاثيّ نصيب الأسد في الذبوع بالعراق، والخطّ الفارسيّ في الهند وإيران، والخطّ الرقعيّ والديوانيّ في تركيا، والخطّ المغربيّ في شمال أفريقيا والأندلس⁽¹⁸⁾.
- واستخدم الخطّ المغربيّ في الأغلبية الساحقة من المخطوطات العربية النيجيرية القديمة كما استخدم منذ أمدّها البعيد من أشهر الممالك في شمال نيجيريا مملكة كانم. وللخطّ المغربيّ خصائص وملامح تميّزه عن غيره من الخطوط، منها أن علامات المدّ وأواخر الآيات، ترسم بمداد أحمر حتى لا تختلط بألفاظ القرآن الأصلية. وأما في إعجام الفاء فتتقطّ بنقطة واحدة من أسفلها، والقاف تتقطّ من أعلاها بنقطة واحدة، بمداد أسود في الغالب، إلا أن البعض يستخدم فيه وفي إعجام الحروف الأخرى المداد الأحمر⁽¹⁹⁾. وترسم "ي" في آخر الكلمة⁽²⁰⁾ هكذا (<) في مثل: (الذ<) وفي الاسم المنقوص مثل: القاضي كما تسقط النقطة في فوق النون (ن) فتبقى مكتوبة بدونها.

● الخاتمة

إنه من المؤنق تاريخيًا وجود العلاقة الوطيدة والصلة الروحية المتأصلة بين المغرب الأقصى ودولة نيجيريا، والتي تتمثل الأصرة الودّية في شئون التجارة وكانت تنمو إلى رابطة علمية قوية تجعل الدولتين كالحلقة المستديرة التي لا ترى من أين مبدؤها وإلى أين منتهاها! إذ توجد بينهما ظواهر تأثرية وتأثيرية كانت-ولا تزال-ظاهرة في أساليب الكتابة العربية التي تختص بالخط المغربي الذي له خصائصه وملامحه في الكتابة العربية؛ وبهذا الخطّ دُون الكَمّ الهائل من المخطوطات العربية القديمة، وهو يُعتبر أقدم الخطوط العربية التي عرفت ساحة الكتابة العربية في نيجيريا قبل معرفتها لغيره من الخطوط العربية كنتيجة فرضتها المدارس النظامية التي أسست أخيرا في هذه الدولة النيجيرية

هوامش

- (1) غلادنت، شيوخو، حركة اللغة العربية وأدائها في نيجيريا من سنة 1804م إلى سنة 1966م ص18
- (2) أغاكا، عبد الباقي شعيب (الأستاذ الدكتور) من تحديات الإنكليزية لمكافحة العربية في نيجيريا: عوامل ومواقف؛ مقالة مقدمة في أسبوع الشيخ آدم عبدالله الإلوري 2007م، ص6
- (3) مقدم، عبدالرشيد محمود، دراسة موضوعية للمخطوطات العربية في إمارة إلورن نيجيريا رسالة قدمت ليل درجة الدكتوراه في اللغة العربية بجامعة إلورن نيجيريا 2013م ص64
- (4) المرجع نفسه ص64
- (5) عبد الرحمن أحمد الإمام، المخطوطات العربية في العصر الحديث ودوره في النهضة بالعلوم العربية مقالة قدمت في المؤتمر الدولي بجامعة عثمان بن فودي، طكنو، 2010م، ص2
- (6) وهم ثلاثة من الأساتذة الأكاديميين بمدينة إلورن: البروفيسورنا الله، والدكتور إسحاق علي أغن، والدكتور مشهود محمود جبا ويشاركهم الإخوة في هيئة الأدب الإسلامي بمدينة إلورن، نيجيريا.
- (7) راجع الأسطوانة الصوتية التي سجلت بها لقطات جلسة التوعية عن المخطوطات العربية بمدينة إلورن التي نظمها مكتب الآثار الإلورية في قاعة جامعة الحكمة إلورن 2010م
- (8) م.م حيدره، عبد القادر، وضع المخطوطات في مالي والجهود في سبيل حمايتها ص5
- (9) إبراهيم محمد صقر، فن الخط العربي: أصوله وتدريبه، بدون/ت، ص19
- (10) المرجع نفسه، ص23
- (11) المرجع نفسه، ص3
- (12) المرجع نفسه، ص3
- (13) غلادنت، المرجع السابق

(14) النفاي، عثمان عبدالسلام (الدكتور) نشأة الخط العربي وتطوره عبر التاريخ، ص7

(15) المرجع نفسه، ص7

(16) المرجع نفسه، ص7

(17) المرجع نفسه، ص7

(18) المرجع نفسه، ص7

(19) غلادنت، المرجع السابق، ص55

(20) المرجع نفسه

